هـذا الرّجـُل

ـ إنّ السّلطان عبد الحميد، كان يهدف من سياسته الإسلامية تجميعَ مسلمي العالم تحت راية واحدة، وهذا لا يعني إلّا هجمة مضادة، يقوم بها المسلمون ضدّ هجمة العالم الغربى التي استهدفت عالم المسلمين.

آرنولد توينبي

ـ عبد الحميد الثاني، واحدٌ من أعظم الشخصيات المفترى عليها في التاريخ.

آت صزْ
(كاتب تركي)

ـ إن تصرف عبد الحميد تجاه الصهيونية كان معناه أن يتسبّب في هدم تاجه وهدم عرشه.

حسام الدين أرتورك
(عقيد بالجيش التركي)

ـ يرحم الله عبد الحميد. لم يكن في مستواه وزراء، ولا أعوان، ولا شعب، لقد سبق زمنه. وكان في كفايته ودرايته وسياسته وبُعد نظره، بحيث استطاع وحدَه- بدهائه وتصرفه مع الدول- تأجيل انقراض الدولة ثلث قرنٍ من الزمان. ولو وجدَ الأعوان الأكفياء والأمة التي تفهم عنه لترك للدولة بناء من الطراز الأول.

سعيد الأفغاني

(أستاذ جامعي وكاتب)

ـ أيها السّلطان العظيم، لقد افترينا عليك دونَ حياء.

الدكتور رضا توفيق

(أكبر مفكر في حركة الاتحاد والترقي)

ـ أتعرف يا جمال ما هي مصيبتنا؟!.. قمنا بالانقلاب ونحن آلة في يد الصهيونية ولم نكن ندري.. كنا أغبياء.

أنـور

(مِن كبار الثوار ضدّ السّلطان عبد الحميد)

الإهـــداء

إلى فضيلة الشيخ

أبي عثمان موسى طوب باش

بكلّ الصفات السامية التي رأيتها ولمستها في فضيلته:

الطلعة النورانية، والتواضع الجمّ، والوقار، والصلاح والزهد وتقوى الله- جلّ جلاله- والفضل، والجود، والسهر على مصالح المسلمين، وكل القيم والمعاني الإسلامية التي منّ الله- عزّ وجل- بها عليه.

الدكتور محمد حرب

المدينة المنورة

١٤٠٩- ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

لا يدّعي هذا الكتاب أنه أحاط بكلّ جوانب السّلطان عبد الحميد وعهده علمًا. لكنه يدّعي أنه وضع أمام القارئ الصورة الأكثر إمكانًا لهذا الموضوع، مستخدمًا المتاح -حتى الآن- من أدوات الكتابة التاريخية في وضع السّلطان عبد الحميد في إطار عصره، التاريخي والسياسي والفكري.

عني هذا الكتاب بدراسة العوامل التي كوّنت أسلوب السّلطان في التفكير، ودراسة العوامل التي أثّرت فيه، وفي أسلوب تعامله. هذا الأسلوب الذي جعله عرضة لهجوم الأدباء والشعراء في أوروبا وفي أمريكا، وهجوم وسائل الإعلام الغربية في الغرب والمتغربة في الشرق فضلًا عن هجوم السياسيين الغربيين عليه. وفي ذلك العهد لم تكن أوروبا تخفي أنها بصددِ قهر العالم الإسلامي، بقهر عبد الحميد. وكانت تصرّح أنها بصدد إزالة الدولة العثمانية من التاريخ بإزالة عبد الحميد من رياسة الدولة العثمانية. وبعد القهر والإزالة يأتي التطبيع، يعني: تطبيع الشعوب التي كانت تتألّف منها الدولة العثمانية بالطابع الأوروبي، وقد حدث هذا وما زال يحدث.

اتفقت بريطانيا -وكانت هي القوة العظمى- مع روسيا على عمل عسكري مشترك لإسقاط السّلطان عبد الحميد من على العرش، وتراجعت الدولتان. فاستعاضت بريطانيا عن ذلك بمؤامرات محلية فشلت. ثمّ أخذت أوروبا بسياسة النفس الطويل لإسقاط السلطان، بأيدي محلية من أبناء الدولة العثمانية عقولها أوروبية. ونجحت أوروبا، ونجحت القوى اليهودية- الصليبية المشتركة، وسقط عبد الحميد- رائد الجامعة الإسلامية- من على العرش، لكنه لم يسقط من الضمير الإسلامي، ولم تسقط مكانته في التاريخ.

والذين كتبوا قبلي في موضوع هذا الكتاب- وهُم قلّة- أصحابُ فضل بما قدموه، بما أسعفتْهُم في ذلك وسائلهم وتكوينهم الثقافي، وهُم- إنْ شاء الله- مأجورون بما قدموه وبنيّاتهم، وجزاهم الله خيرًا، إلّا أني أستأذنهم، وأستأذن القرّاء؛ السماح لي بالقول: إنّ هذا الكتاب الذي بين أيديهم هو أول دراسة في اللغة العربية متخصّصة، يكتبُها متخصّص في التاريخ العثماني، وبالله التوفيق.

الدكتور محمد حرب

المدينة المنورة

١٤٠٩- ١٩٨٨